محي الدين بن عربي

الرسائل الإلهية

تحقيق: قاسم محمد عباس





ما تبقى من كتاب التنزلات الموصلية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ رضي الله عنه في كتابه المسمّى بالتنزلات الموصلية:

إذا نزل الروح الأمين على قلبي تضعضع تركيبي، وحنّ إلى الغيب، فأودعني منه علوماً تقدّست عن الحدس والتخمين، والظن والريب، وفصلت الإنسان نوعين يقوم بهما الصفو النزيه مع الشوب: فنوع يرى الأرزاق من صاحب الغيب، ونوع يرى الأرزاق من صاحب الجيب، فيعبد هذا النوع أسباب ربه، ويعبد هذا خالق المنع والسبب، فهذا مع العقل المقدس وصفه، وهذا مع النفس الخسيئة بالغيب، لعلك يا ولي إذا سمعتني أقول: تنزل الروح الأمين على القلب، تنكر وتقول: أَوَحيٌ بعد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ لا تقل أعاذنا الله وإياك من وحي كل شيطان غويّ، إنما هو عبارة في العامة عن اللّمة الملكية، وفي الخاصية هو بالحديث كما ورد في صحيح الحديث في القديم وفي الحديث، قال خير البشر: (إن في أمتي محدثين وان منهم عمر)، وقال أيضاً عليه أفضل الصلاة والسلام في قلب العبد: (إنه يتصرف بين لمة الملك وبين لمة الشيطان)، ثمّ كنّى أيضاً عن هذا التصرف، والتقليب بالأصبعين، وأضافها إلى الرحمن.



فما زالت الملائكة تتعاهد القلوب بأسرار الغيوب، وهي التي تأمرك بالطاعة والتزام السنة والجماعة حين تأمرك الشياطين بلمتها في ذلك الأمر بالمخالفة فإن تسمح لها أمرتك بالتسويف أو الموافقة، وتتنوع تنزلات الغيوب تنبيك عن استعداد القلوب، ولا تظن أيها الخليل اني أعني بالروح الأمين (جبريل)، فإن الملائكة كلهم أرواح أمناء على ما أودعها الله سبحانه من أصناف العلوم الموقوفة على التوصيل تارة بالإجماع، وتارة بالتفصيل، ولابد أن يكون صاحب التنزلات الغيبية عارفاً بالخواطر وأجناسها، وعالماً بالروائح وأنفاسها، فلا يتصور إنكاراً فيما ذكره بعد ما قرَّرناه من اللمة والحديث.إلاّ من معاند خبيث، متّعنا الله وإياكم بنتائج الأذكار، وعصمنا وإياكم من أغاليط الأفكار، وقدُّس قلوبنا من دنس التعصب والإنكار، على ما ظهرت من المتقين والأبرار من غوامض العلوم والأسرار.

في سروضع الشريعة

وقال رضي الله عنه في التنزلات الموصلية:

سبب وضع الشريعة في العالم أمران فيهما سران: الأمر الواحد صلاح العالم، وهو منهج الأنبياء، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾[48] وسرُّه ان نصر المؤمنين حق عليه.

والأمر الآخر إثبات ذلة العبودية، وظهور عزّة الربوبية، وسره حكم سلطان اسميه فتنبّه لما رمزناه، وفك المعمّى الذي لغَّزناه، فهذا سبب وضع الشرع الموافق للعقل والطبع، جعلنا الله وإياكم من العلماء العاملين، وحال بيننا وبين القوم الفاسقين.



في معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه

وقال رضي الله عنه في الكتاب المذكور

نزل روح أمين على قلب مكين، وقال: إنما جعل الرسول من الجنس لاستخراج غيب النفس، وأنزل بلسانهم لارتفاع اللبس، وأن دعا أمر أن يكون من غير الجنس في الحقيقة، فلابد وأن يظهر في صورة الجنس في عالم تمثيل الرقيقة، ان أنظر أيها القلب في إيجاد المسيح، لم يصح حتى تمثل في عالم البشرية الروح، فوقع النفخ، وأعقبه السلخ، وقد رمينا بك على الطريق، فادرج عليه عالم التحقيق، وسيقوم معك رسول الخيال إلى المتخيلات، فخذ منه ما أعطاك، وإياك والالتفاف، وانهض على طريقتك المثلى، وقل الرفيق الأعلى، فسيقوم معك رسول العقول، فخذ منه ما يقول، واركض برجلك حيث براق عملك إلى نيل أملك، زكّى الله أعمالنا، وبلّغنا وإياكم آمالنا آمين.

في معرفة مقام الرسالة، ومقام الرسول من حيث هو رسول، ومن أين نودي وأين مقامه، والخلافة والنبوة والولاية والإيمان والعالم والجاهل والظان والشاك والمقلدين لهم

قال رضي الله عنه في الكتاب المشار إليه:

نزل الروح على القلب، وقال: الرسالة عرش الرب، وسماء المربوب، ومقام الرسول بينهما؛ لأنه طالب مطلوب، فلو لم يناد الرسول في مقامه الإلهي لما أجاب، ولو سقي من غير مشربة ما طاب، فإن قيل له في ذلك الخطاب: ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾[٤٩]، فذلك الرسول وإن زيد عليه، وقاتلهم أن أبوا القبول، فذلك الخليفة الرسول، فله أن يصول.



واعلم أن فلك الولاية هو الفلك المحيط الأعم الأتم الأكمل العقلي، وفلك النبوة هو الفلك الأتم النفسي، وفلك الرسالة هو الفلك القريب المثلث الهيولي، وفلك الجهل هو الفلك ...، وفلك العلم هو الفلك المشتري، وفلك المريخي، وفلك النظر هو الفلك الشمسي، وفلك الظن هو الفلك الزهري، وفلك التقلب هو الفلك العطاردي، وفلك الإيمان هو الفلك القمري، الرسول وجْه على قومه، والنبي تعبُد في نفسه إلى يومه، والولي أيقظه الرسول من نومه، فالرسول هو الإمام، والولي هو المأموم، محفوظ غير معصوم، فالرسول على هذا النمط هو المطلب، ومنه وإليه يكون الهرب المرغوب، فالمؤمن به صدُقه وانصرف، والعالم أقام له البرهان، فأقرّ بصدقة واعترف، والجاهل نظريته الخرف، والشك تحيّر فيه وتوقف، والظان تخيّل وما عرف، والناظر تطلع وتشوّف، والمقل مع كل صنف تصرّف، وأن مشى متبوعه مشى، وأن وقف حيث ما كان وقف، واما في النجاة وأما في التلف، جعلنا الله وإياكم ممن نظر و استبصر، وعلم فلم يجهل ولم يتحير آمين.

في تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها

قال "رضي الله عنه في التنزلات الموصلية:

نزل الروح الأمين على القلب وقال: يا طالب الرسالة أقصر فإنها موهوبة غير مكسوبة، وطالبة غير مطلوبة، لا تنال بالسعايات، وليس لها بدايات فتوجد عند الغايات، وإن كان من شرط أن تكون نية صاحبها قريبة من الاعتدال، ولطيفته متوسطة بين الجلال والجمال، وأحكامها أن لا يسكن في النور ولا في الظلمة، ومواضع الضيا،



والظلال، وليكن فرشه الرمال، ووقته الرقيقة التي قبل الزوال، وان تكون مرآته صافية، ويواجه بها البلاء والعافية، ومن أحكامها الثبوت عند التلقي، وعدم الالتفات عند الترقي، وأما تلقيها فرقيقة ربانية تمتد إلى لطيفة روحانية بكلمة غيبية مدرجة في قوة قلبية تجري في أنبوب تلك الرقيقة، فتستقر في النقطة الدقيقة، فيبثها الرسول في عالم المجاز والحقيقة، على حسب ما تعطيه الطريقة، فالتدلي انبعاثها الرباني، والتلقي اتصالها به الروحاني، علمنا الله وإياكم من لدنه علماً، وآتانا رحمة من عنده ومغفرة وعزما آمين.

في معرفة تلقي الرسالة الثانية الموروثة من النبوة

نزل الروح الأمين على القلب وقال: لتعلم أن الرسالة الثانية موهوبة مكسوبة، وطالبة ومطلوبة وموروثة غير منفوثة، وباعثة، وصورة تلقيها حقيقة ربانية تمتد في رقيقة نورانية إلى لطيفة روحانية، فاللطيفة الروحانية رتبة، والحقيقة الربانية مرتبة في واسطة مرآة نبوية فتعكس شعاعها على قلب الولي، فلهذا يخرج بصورة النبي لا ينسخ شريعة ولا يثبت أخرى، ولا يسأل على تعليمه أجراً.

وإنما صح لنا ورث الكتاب؛ لكون إعطاءه إيانا من غير اكتساب؛ وكل وراث مصطفى، وما سواه فهو على شفا، وإنما لحق الوارث منا بالنبي السالف، لأنه للالقاء النبوي ذائق، ولمقامه العلي كاشف، فهو في قلبه على شريعة من ربه، وإنما نسب رسول الرسول إليه لاشتراكهما في التكليف الذي أنزل عليه، ولم ينسب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى (جبريل)؛ لأنه ليس له من رسالته غير التعريف الذي أودع الرحمن



لديه، فنسب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله بغير واسطة لعدم هذه الرابطة، فإن كنت من أهل الإشارات فقد منحتك العلم النافع في إيجاز هذه العبارات؛ جعلنا الله وإياكم ممن ورث فبعث، ودُعي فانبعث وأن تُرك لم يكترث بمنه آمين.

من التنزلات في معرفة النية والفرق بينهما وبين الإرادة والقصد والهمة والعزم والهاجس

قال الشيخ رضي الله عنه. في تنزلاته:

أساس وجود الفعل في القلب خمسة: فأولها عند المحقق هاجس، ومن بعده عين الإرادة قائمة، ومن بعد هذا نية مستقيمة تباشر فعل الشخص،والقلب سائس، وقد قيل أيضاً عند المحقق، فإن صح هذا القول فالقصد سادس، ومن قال: أن القصد معناه نية فحسب، فإن القصد المقوم خامس، نزل الروح على القلب وقال: أين العقل الأقدس.

أعلم أن الله تعالى إذا أراد إيجاد فعل ما مقارنة حركة شخصها بعث رسوله المعصوم وهو الخاطر الإلهي المعلوم، ولقربه من حضيرة الاصطفاء، هو في غاية الخفاء، فلا يشعر بنزوله في القلب إلا أهل الحضور والمراقبة في مرآة الصدق والصفاء، فينقر في القلب نقرة خفية لنزول نكتة غيبية، فمن حكم به فقد أصاب في كل ما يفعله، ونجح في كل ما يعلمه، وذلك هو السبب الأول عند الشخص الذي يقول: هو نقر إلى نظر عند أرباب الخواطر، وهو هاجس عند من هو للقلب سائس، فإن رجع إليه مرة أخرى فهو الإرادة، وقد قامت تصاحبه العادة، فان قام ثالثة فهو الهم، ولا يعود إلا لأمر هم، فإن عاد رابعة فهو العزم، ولا



يعود إلا لأن الأمر الجزم، فإن عاد خامسة فهو النية، وهو الذي باشر الفعل...، وبين التوجه إلى الفعل وبين [أن] يظهر القصد، وهو صفة مقدسة يتصف بها الرب والعبد.

في معرفة أسرار التكبير

قال الشيخ رضي الله عنه في التنزلات

اعلم أن للجميع حضرتين كما بيّنا من قبل أن الوجود كله مبني على أثنين: فالله واعني به (الاسم) حضرة جامعة لجميع الأسماء الحسنى، والذات التي لها الألوهية حضرة جامعة لجميع الصفات الذاتية القدسية، والصفات الفاعلية في العالم الأبعد والأدنى، والأرفع والأدنى، فإذا كنت في حالة من الأحوال، أحوال الأرض وأحوال السماء، فلا شك أنك تحت قهر اسم من الأسماء، سواء عرفت ذلك، أم لم تعرف، أو وقفت في مشاهدته أم لم تقف، فإن ذلك الاسم الذي يحركك، أو يسكنك، أو يلوّنك، أو يمكنك، يقول لك: إن إلهك ويصدق في قوله، فيجب عليك أن تقول: الله أكبر، وأنت باسم سبب قوله ـ تلك الرفعة السيئة ـ، والله الرفعة الإلهية، ويصح (افعل) على طريق لمفاضلة، فإنها من حضرة المماثلة، قال الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾[50]

وكذلك له الصفات، فإن الله هو الرحمن الرحيم إلى ما يعلم منها وما لا يعلم، وما يفهم منها ـ صفاته ـ وما لا يفهم، وعلى هذا يصح الله أكبر وبه ثبتت المعارف الإلهية وتتقرر، وأعلم قطعا أن الذات لا يتجلى إليك أبداً من حيث هيئة، وإنما يتجلى إليك من حيث صفة ما، وكذلك



اسم الله لا يعرف أبدأ معناه، ولا يسكن وقتاً ما في معناه، وبهذا السر تميز الإله من المألوه، والرب من المربوب، ولم لم يكن كذلك لألتحق المهلك بالهالك. فقد بانت الرتب وعُرفت النسب، وثبتت حقيقة السبب، جعلنا الله وإياكم ممن شاهد محرك الكبر، فتجلى له ما هو أكبر منه لا ربّ غيره، وما أشقى إلا على العمر ينقضي، وليس لنا في الاجتماع نصيب. انتهى.

قال الشيخ رضي الله عنه في التنزلات في إسرائه مع المخاطبة بآدم عليه السلام

قلت له: يا أبتي إني أريد أن تخبرني بما عُلّمت من الأسماء، وهل كانت لك خلافة في السماء؟ فقال: يا بني إن القَدم الواحدة مخصوصة بالسماء، والخلافة ذات قدمين. فلا يصح فيه وجود الخلفاء، وما سألت عنه من مقام الأسماء، فإن الله عرض عليَّ الحقائق قبل تأليفها، وعرّفني بأسمائها وأسماء من يتألف منها، وأعلمني بكيفية تركيبها وتصريفها، ثم عرض على الملائكة تلك الحقائق وأخفى عنهم ما أشهدني من الرقائق لما تقدم منهم في حقي من التجريح، كما رأيته في البناء الصحيح فقال: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين﴾[51]، وأشار إليهم لكونهم حاضرين، ولو أراد الأسماء خاصة لقال: (عرضها)، وفي قوله: (عرضهم) حجة واضحة يعرفهم من فرضها. فعرفت الملائكة أسماء الحقائق في حال افتراقها حين اختصصت أنا بمعرفة أسماء تركيبات حقائقها. فقالوا: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم﴾[52]،قال الله جل ثناؤه ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾[53]. فألفت



الحقائق بطريق ما ، وقلت: هذا قدس بطريق آخر ، وقلت: هذا إنسان، فلما أنبأتهم بأسمائهم فظهرت حجة الله على خلقه، وقام بهم برهان حقه فبمثل هو والأسماء اختصصت، وهي التي على الملائكة نصصت، وإلا فليست في الأسماء عند وجود الأعيان معرفة غامضة عند الأرواح إنها على مجرد الاصطلاح، ولهذا اختلفت عوالم العبارات عنها عند شهودها ، ولم تختلق المعاني التي بها قوام وجودها ، فالنفس تعقل معانيها ، وأن اختلفت أساسها في مبانيها ، فقلت: هذه الأسماء الكيانية، فهل اختصصت أيضاً بالأسماء الإلهية، فقال: عليها فطرت الصورة الإنسانية انظرها فهي مصرفتك، وتحققها فهي معرفتك، بمعرفتها تفاضل أشخاص هذا الجنس، وبمشاهدتها تقدس العقل، وتزكت النفس، فقلت له كذلك وجدتها ، ولهذا عبدتها وما عبدتها والله أعلم.

في بيان الصلاة الوسطى، أي صلاة هي ولماذا سميت بالوسطى؟

قال رضي الله عنه في أواخر كتاب التنزلات:

من المعارف الرسمية، والعلوم الوسمية، ان الوسطى من الوسط والفضيلة، فمن جعلها من الوسط فهي المغرب لما جاء في الخبر: أن أول صلاة صلاها (جبرائيل) بالنبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر، وقد ثبت ذلك وظهر، فمن جعلها من الفضل فيكون العصر لاقتران فواتها بمصيبة الأهل والمال وتغير الأحوال، وقد جاء الخبر الحق في يوم الخندق: إنه عليه الصلاة والسلام أبدل العصر من الوسطى، بدل الشيء من الشيء، ومن العين الواحدة، وهي المختار المثلى، وقد أثبتتها (عائشة) أم المؤمنين رضي الله عنها في مصحفها بواو التأكيد. وهذا في المسألة



من أعظم التأييد، ومن خالف ما ذكرناه من العلماء الآراء والرواية، فروايات واهية، وآراء ما عليها من طلاوة رونق. فسلطان هذا الحكم من معارف الرسم، وعلوم الوسم، فنرجع فيها إلى محكم يعلم الكشف المحقق بالنور المطلق، فأقول شاهد السر في حضرة الوتر ان الصلاة هي صلاة العصر إلى آخر ما ذكره.

في معنى قوله، والذين هم على صلاتهم دائمون

قال رضي الله عنه في تنزلاته:

من عرف سر وضع الصلوات لم يزل في عموم الحالات على تنوع التصرفات فلا ... على صلاته دائماً، ولسرها حاكماً. ولا يقتنع بالاقتصار على محافظة الأوقات؛ فإنه لأهل الأشغال والغفلات، ولا شغل للعارفين إلا بربهم، ولا مراقبة لهم في شيء إلا في قلبهم. فإنه الذي وسعه وناداه، فسمعه فهو في كل الأحيان يشاهده وسره مع الأنفاس عابده، فقابل الدوام بالدوام، وزاد على التعيين عند أصحاب الليالي والأيام، فجواد صمته في ميدان الديمومة سائح، ونور سرها في بحرها المتلاطم سابح، وإن كانت للصورة مرتبتان محققتان: مرتبة عميمة، ومرتبة مخصوصة، وأسرارها عند المحققين الذين على بينة من ربهم منصوصة، والدوام إنما يقع في المرتبة وهي المناجاة، وأما المرتبة المخصوصة فلا يتمكن فيه الدوام لاختلاف المقامات بتنوع التنزلات لتنوع الحالات، فمن وقف على سر الحضور لم يقتصر على بعض الأمور، وفيه يصح الدوام عند علماء الإلهام، فقد تبينت الرتب، وتحققت النسب، جعلنا الله وإياكم ممن داوم على صلاته في الحكمين ففاز بالعلمين، آمين.

